



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-024-001-003

## حمام الصباغين (حمام سيدي بلحسن الغماري) من روائع العمارة المرابطية بتلمسان

**Hammam El- Sabaghinne or (Sidi Belhassen El- Ghomari  
hammam ) is one of the Masterpieces of Almoravid Architecture  
in Tlemcen**

د./محمد عبد الجليل شيخي \*

المتحف العمومي الوطني للخط الإسلامي بتلمسان/ الجزائر

Chikhi.archeo13@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/04/08

تاريخ الإرسال: 2025/02/22

### الملخص:

يعتبر حمام الصباغين أو حمام (سيدي احمد بلحسن الغماري) حسب تداول أهل المدينة من العمائر المدنية العتيقة التي لها قيمة أثرية وتاريخية مهمة في نسيج المدينة القديمة بتلمسان. فعلي غرار دوره كحمام يقصده العامة للاغتسال والطهارة يفضل البعض الآخر اللجوء إليه كمزار للتبرك بطيف الولي الصالح الناسك سيدي بلحسن الغماري، الذي مازال موضع جلوسه باق بقاء هذا الحمام الذي هو مغلق منذ فترة طويلة؛ فحمام الصباغين هو امتداد للعمارة المدنية ذات الطابع المغربي الأندلسي الذي جلب إليه الاهتمام من طرف عدد كبير من الباحثين وخصوصا المستشرقين الفرنسيين يتقدمهم الإخوان جورج ووليام مارسلي (Gorge et William Marcais) أوائل القرن العشرين.

حيث سأحاول في هذا المقال تسليط الضوء على هذا المعلم الأثري المهم الذي يعاني من الإهمال مع إبراز جمال عناصره المعمارية الباقية: كما سأحاول تحديد فترة تشييده من

\* د. محمد عبد الجليل شيخي/ الجزائر.



خلال مقارنته بعمائر مرابطية أخرى وبعض المعطيات الأثرية والمعمارية الحديثة التي لم يتطرق إليها الباحثون من قبل.

الكلمات المفتاحية: آثار المرابطين؛ حمامات تلمسان؛ حمام الصباغين؛ الفقيه سيدي بلحسن الغماري؛ الطراز المغربي الأندلسي؛ نظام الأقبية؛ القبة المفصصة.

### **Abstract:**

The Hammam of the Dyers (sabaghine), or the Hammam (Sidi Ahmed Belhassen Al-Ghomari), according to the people of the city, is considered one of the ancient civil buildings that has an important archaeological and historical value in the fabric of the old city of Tlemcen. Similar to its role as a bath house that the public visits for washing and purification, others prefer to resort to it as a shrine to seek blessings from the saintly saint and hermit, Sidi Belhassen Al-Ghomari, whose seat still remains as this bath house, which has been closed for a long time. The Dyers' Hammam (sabaghine) is an extension of the civil architecture of the Maghreb-Andalusian character, which brought attention to it from a large number of researchers, especially French Orientalists, led by the brothers (George and William) Marcais in the early twentieth century. In this article, I will try to shed light on this important archaeological and mark that suffers from neglect. While highlighting the beauty of its remaining architectural elements; I will also try to determine the period of its construction by comparing its shape and plan with other Almoravid buildings and some modern archaeological and architectural data that researchers have not addressed before.

**Keywords:** Monuments of the Almoravids, Tlemcen Baths, Hammam al-Sabbaghine, Sidi Belhassen Al-Ghomari, the Maghreb-Andalusian style, cellar system, the lobed dome.



## -مقدمة:

تتميز الحضارة العربية الإسلامية في كل مكان وزمان بتطبيق ما نصت عليها الشريعة الإسلامية السمحاء، والتي أكدت على ضرورة النظافة والتطهر لاسيما عند أوقات الصلاة. فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" (سورة المائدة، الآية: 06) وفسرتها كتب السنن كما ورد في صحيح البخاري الكثير من الأحاديث الشريفة التي أكدت على النظافة منها قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ " (صحيح البخاري، 1999م: 29). وقوله صلى الله عليه وسلم " لا تقبل صلاة بغير طهور " (صحيح مسلم، 2010م: 154) كما استخدمت الحمامات لغسل جثث الموتى (سالم عبد العزيز، 1985م: 210)، فكانت النظافة إحدى سمات الدين الإسلامي الحنيف. ولأجل ذلك ظهرت الحمامات في كافة المدن الإسلامية للغرض أعلاه، فضلا على أنها كانت مكانا للمرح ومجلس انس ولهو وغناء. ففيه قال الاعمى التيطلي وهو شاعر أندلسي

وَمَنْزِلُ أَقْوَامٍ إِذَا مَا تَقَابَلُوا      تَشَابَهَ وَغْدُهُ وَرَئِيسُهُ  
يَنْفَسُ كَرْبِي إِذْ يَنْفَسُ كَرْبُهُ      وَيَعْظُمُ أَنْبِي إِذْ يَقُلُ أَنْبِسُهُ

(ديوان الاعمى التيطلي، 2014م: 151)

وكل ما تمحور حول الحمامات فيما بعد من خدمات وعادات وحكايات وأساطير وتقاليد جاء نتيجة لارتباطه بكل طبقات المجتمع وكل أبناء الحي بشكل دائم، وفي كثير من المناسبات (عبد الرحيم غالب، 1988م: 140) وحول هذه الأساطير ما سأذكره حول حمام الصباغين أو حمام سيدي بلحسن الغماري بتلمسان لاحقا.

لقد كان عدد الحمامات في المدينة حسب تطورها ونموها ديموغرافيا ومعماريا، ولقد انقسمت الحمامات الى نوعين؛ حمامات خاصة وهي التي وجدت في منازل بعض الأثرياء بشكل عام وحمامات عامة وهي تلك التي كانت للناس عامة، وهو محور هذه الورقة البحثية، ولقد كان هذا النوع يبني بجوار المساجد الجامعة، أو مساجد الأحياء وسط المدينة أو أحيائها السكنية (عبد العزيز لعرج، 199م: 441) ومن



خلال ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية: لماذا ارتبط حمام الصباغين بالموروث الشعبي التلمساني القديم؟ وماهي خصائصه الأثرية والمعمارية؟

**1-تسمية الحمامات والموروث الشعبي التلمساني:**

الحمامات في المجتمعات دورها النظافة كما هو الأصل الذي من أجله بنيت، إلا أنه كان لها دور اجتماعي أيضا، حيث يلتقي فيه الرجال مع بعضهم، والنساء كذلك مع بعضهن، وفيه يتفق على الزواج أو بدايته أو مبادرته الأولى، وهذا ما يزال منتشرا إلى حد ما في وقتنا الحالي ففيه يتحدث عن مراسيم الدفن، وفيه أيضا يتفق على الأعمال التجارية، كما تحكي فيه الحوادث العائلية (عبد العزيز لعرج، نفسه: 441). يعرف قديما أن الحمامات تشفي كثيرا من الأمراض على غرار التهاب اللوزتين وبعض الأمراض الباطنية وذلك إذا شرب ماءها، وهذا يختص بالحمامات الطبيعية التي يجري الماء فيها على معادن معينة وهو ما يعلم نفعه بالتجربة وهي أيضا نافعة لاختلال العقل بسبب سوء مزاج بارد أو يابس وبالتالي تعالج بالרטوبة، ومنها ما هو نافع لبعض حالات العقم، كما أن الحمامات نافعة للأمراض الظاهرة مثل علة تولد القمل في الرأس وعلة البرص، وأيضا لبعض الحميات (فضيلة بوعمران، 2007م: 110-131). كما يمكن الإشارة إلى بعض الحمامات قديمة بتلمسان التي ارتبطت بقصص وأساطير مخيفة مثل "حمام الغولة" (انظر التعليق رقم: 01) والصورة رقم (8)، "وحمام الحفرة" (انظر التعليق رقم: 02) والصورة رقم (7)

فعلى الرغم من أن غالبية هذه الحمامات أصبحت خرابا وأطلالا ينفر من التردد عليها الأهالي، لكن البعض الآخر مثل حمام الصباغين ورغم تعطل وظيفته حاليا، لازل يحتفظ بعمارته وقيمته الروحية لسكان مدينة تلمسان يرتاد هذا الحمام عامة الناس منذ القدم، لأنه يقع في منطقة شعبية متأصلة العادات والتقاليد في مدينة تلمسان، حيث تنوعت مسميات هذا الحمام فتارة يدعى حمام الصباغين وتارة أخرى حمام سيدي أبي الحسن الغماري (انظر التعليق رقم: 03) وانظر الشكل رقم (1). وسبب تسمية هذا الحمام باسم سيدي بلحسن لأن هذا

الفقيه كان كثير التردد عليه، وهناك أسطورة كذلك مفادها أن بنت السلطان مرضت وأشار الحكام على والدها أن تدخل



الصورة(8): حمام الغولة

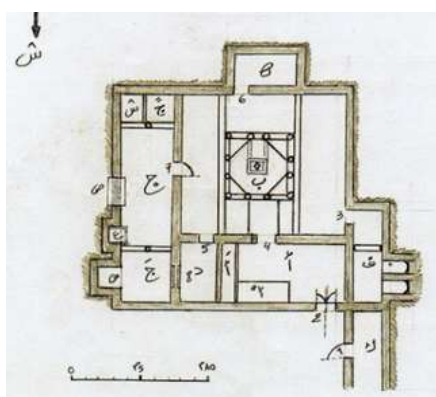
من تصوير الباحث سنة 2015م



الصورة(7): حمام الحفرة

من تصوير الباحث سنة 1995م

الحمام بعد خروج الشيخ الفقيه الغماري منه وان تغتسل بما فضل عليه من الماء الساخن عسى أن يشفيها الله تبركا بهذا الولي الصالح. (شاوش محمد رمضان، 1995م:258).



الشكل (01): مخطط حمام الصباغين سنة 1905م بتصرف عن (G et W marcais, les monuments arabe de



أما تسميته حمام الصباغين فهي تعود لورشات صباغة الصوف التي كانت تحيط بالحمام من عدة جهات. Gorge et william marcais, 1905, p160

2- الشكل العام للحمامات في الفترة الإسلامية:

لقد ورثت الحضارة الإسلامية الحمامات كما ورثته الحضارات السابقة (الإغريقية والرومانية) التي يرجع الفضل لهما في ضبط عمارتها وتقسيم غرفها وتزيينها بالفسيفساء والرسومات، فأوجدوا مكان خلع الملابس (Apodyterum) ومكان الحمام البارد (Frigidarium)، ومكان الحمام الدافئ (Tepidarium) ومكان الحمام الساخن (Caldarium) كذلك من الصفات المعمارية للحمامات الرومانية أنها ترتفع على منصة (Platform) (عادل زيادة، 2009م: 22-29).

لقد صار الحمام من الضروريات في المجتمعات الإسلامية فكان لزاما على "سلطات المدينة أن تنظم إنشائها وما يتصل بذلك من تزويدها بمصادر المياه وقنوات الصرف وما يصدر على بنائها من دخان تحكم أحيانا في تحديد مواضعها وأيضا وحداتها" (عثمان محمد عبد الستار، 1999م: 246). فقد طور المسلمون الحمامات في بعض أقاليمهم بما يتوافق مع طبيعة المناخ، وبما يتوافق أيضا مع عاداتهم وتقاليدهم. فقد عرفت الحمامات في المدن الإسلامية مخططين اثنين من حيث الشكل أولهما متأثر بالتخطيط البيزنطي، احتلت فيه القاعة الدافئة المكانة الأولى بين بقية القاعات وكان مسقطها ذات ثمانية أضلاع أو اثنا عشر ضلعا، أما المخطط الثاني فقد كان طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة بطريقة طويلة متتالية، تحتل فيه القاعة الأولى بدل الدافئة مركز الصدارة حيث استمر لاحقا (عادل زيادة، المرجع السابق: 36). وقد قسم بناء الحمام الواحد طبقا للروح الإسلامية المعمارية إلى قسمين متلاصقين في العمارة لكنهما منفصلان وظيفيا ولكل منهما مدخله الخاص، يمثل أحد هذين القسمين الحمام نفسه والمكان الذي يؤمه المستحمون، وخصص القسم الثاني للخدمات التقنية والتشغيل، ويطلق على هذا القسم الفرناق، وهو يضم الموقد والبرمة الذي يعرف بالحلة (جفنة التسخين) في بلاد الشام أيضا (عبد

الرحيم غالب، المرجع السابق:140). كما وجدناه في مخطط حمام الصباغين. انظر الشكل(4)



الشكل رقم 04: المخطط الحالي لحمام الصباغين

من انجاز الباحث سنة 2010 م

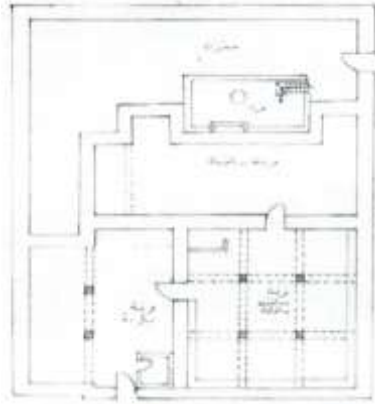
أما أقسام عمارة حمام الصباغين فيمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام وهي:

- القسم الأول: أو القاعة الباردة كانت تعرف في حمامات العصر المملوكي بالخارجي أو البراني وخصوصا في مصر، أما في مراكش كان يعرف بالملسخ (عاصم محمد رزق، 2000م، ص85) حيث يقابلها عند الرومان (Apodyterum).

- القسم الثاني: وهو التالي للملسخ ويعرف عند أهل الشام بالوسطاني وعند أهل فاس بالبراني وفي تونس البيت البارد وفي القاهرة البيت الأول وهو قسم دافئ يستغل لخلع الملابس في الشتاء، يتكون من إيوان واحد يشتمل عادة على حوضين أحدهما للماء البارد والآخر للماء الدافئ قد يزيد عليها حوض ثالث للوضوء يسمى "إيزن" وغالبا ما تفرش أرض هذا الإيوان بالرخام المكون ويغطيه قبو نصف برميلي أو قبة بها فتحات دائرية يغطيها زجاج ملون للإضاءة (عاصم محمد رزق، نفسه: 85). حيث زودت هذه القاعة بأحواض للماء الدافئ أو الساخن إلى جانب الهواء الساخن المار عبر الأنابيب الفخارية الكائنة بجدران القاعة والآتية من جهة المستوقد وتعرف هذه

القاعة في الحمام الروماني (Tepidarium) "عثمان محمد عبد الستار، المرجع السابق: 246).

- القسم الثالث: والذي يعتبر المكان الحقيقي للاستحمام ويعرف ببيت الحرارة أو القاعة الساخنة حيث يطلق عليه في الشام اسم الجواني وفي فاس الداخلي وفي تونس الزقاق وفي القاهرة الحرّارة (عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 141). أما في الجزائر فيصطلح عليها اسم البيت السخون (النقادي سيدي محمد، 1991م: 247). يتوسط هذه الغرفة حوض مكسو في الغالب بالرخام يملأ في الغالب بالماء الساخن محاطة بمقاعد حجرية أو مصاطب لجلوس المستحمين كما يعبق جوها بالبخار الممزوج بالعطور المتصاعدة من الصابون المطيب كذلك تضم هذه القاعة ملحقات عبارة عن مغاطس وبعض الخلوات أو المقصورات الجانبية ربما للتدليك أو الاسترخاء نوعا ما (عاصم محمد رزق، المرجع السابق: 38). وقد وجد هذا القسم في كل من الحمام البالي بندرومة وحمام الصباغين بتلمسان، حيث يقابله (Caldarium) عند الرومان. انظر الشكل (2) والشكل (1).



الشكل رقم 02: مخطط الحمام البالي بندرومة

بتصرف عن (محمد رابع فيسة، المنشآت المرابطة بمدينة ندرومة )

- القسم الرابع: بيت الحرارة أو الجواني "المستوقد" أو بيت النار (Hypocauste) وهو عبارة عن فرن يتم عن طريقه تسخين الماء في قدور كبيرة من النحاس أو الرصاص



يندفع منه الماء الساخن وأيضاً الهواء الساخن عبر أنابيب فخارية أو من الرصاص إلى وحدات الحمام المختلفة وغالباً ما يكون للمستوقد باب خلفي لتزويده بالوقود اللازم ويجلب الماء للحمام من بئر بجواره يرفع إليه عن طريق ساقية أو عن طريق صهريج يزود بمياه إحدى القنوات الجارية (عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص 247).

### 3- موقع حمام الصباغين وإشكالية التأسيس:

1-3- موقع الحمام: يقع حمام الصباغين أو حمام سيدي بلحسن الغماري في الحي الشمالي الشرقي للمدينة على جانب زقاق ضيق يربط بين شارع معسكر (درب مسوفة) وشارع خلدون (القران الصغير سابقاً)، وسط مجموعة من البنايات وبعض الورشات لصباغة الصوف المغزول في الماضي، وهو ما عرف بدرب الصباغين حيث أخذ منه الحمام هذه التسمية (G et w-Marcais , op-cit, 160) أنظر الشكل (4).

إن حمام الصباغين يقع في النسيج العمراني للمدينة القديمة ليس بعيد عن المسجد الكبير ويقابله مسجد الشيخ السنوسي رحمه الله حيث يمكنك الوصول إلى الحمام عبر مسلكين ضيقين أو بما يعرف بالزنيقة يعرفان عند العامة بالقران الصغير والقران الكبير (انظر التعليق رقم: 04)، الأول يربط الحمام بدرب مسوفة والثاني يربطه بدرب أو شارع خلدون وهي خاصية لم نجدها في الحمامات التلمسانية القديمة أو حتى الحديثة فكان استنتاجنا أنه ربما كان أحد الشارعان الضيقان واحد للرجال والآخر للنساء، لأن الحمامات العامة في العصر الإسلامي كان يتوافد عليها الرجال وحتى النساء لكن بدون اختلاط وفق ضوابط شرعية وفقهية محددة مثل الحمامات التي اشتهرت في الأندلس وشمال إفريقيا فإن مسألة الفصل بين الجنسين كانت تحل بالتوقيت حيث كان الصباح ولا يزال في بعض المناطق للنساء والمساء للرجال (بن حموش مصطفى، 2006م: 50). انظر الصورة رقم (7).

إن المجتمعات الإسلامية محافظة لذلك كان وجود هذه الارتفاقات ضرورة لضبط كل السلوكيات المنافية لروح المجتمع، وفي ظل هذه الظروف الاجتماعية ومدى تطبيق نصوص الشريعة الإسلامية في المجتمع، بنيت الحمامات العامة كنوع

من المنشآت الاجتماعية التي يجب أن يراعى في عمارتها ما يتماشى مع ما ينص عليه الفكر المعماري الإسلامي .



الصورة(7): حمام العباد المريني-تلمسان-من تصوير الباحث سنة 2009م

2-3-تاريخ بناء الحمام: يندرج حمام الصباغين ضمن شكل الحمامات العربية، فرغم بعض التفكك في حالته وكذلك بعض التغيير عبر الملامح الأصلية التي كانت فيه لا زالت بعض مميزات الفن المغربي الأندلسي بادية عليه، فهو ذو طراز معماري قديم جدا، وحتى التحف الفنية المنحوتة تؤكد انه عتيق، لذلك يمكن أن يؤرخ لبدايات الفن التلمساني القديم (G et w-Marcais , 1905, p 161).

يتفق الجميع على أن حمام الصباغين قديم التواجد بالمدينة القديمة بتلمسان، لكن هناك إشكالية في تحديد تاريخ دقيق لبناء الحمام لذلك سنستند إلى مجموعة من الإشارات والتحليلات لعدد من المؤرخين والمعماريين وحتى المختصين في الآثار لمعرفة عمر هذا المعلم الأثري:

✓ إن جورج مارسلي وهو الباحث في تراث مدينة تلمسان والمختص في عمارتها التاريخية يصرح "بأنه لا توجد وثيقة تحدد تاريخ البناء وعمر الحمام، لكن الشكل المعماري والفني يوحي بأنه قديم، نعتقد أننا يمكننا أن نؤخر تاريخ بناءه حتى القرن 11م وذلك بالاعتماد على المقارنة مع بعض الحمامات الموجودة في (إسبانيا، صقلية، جزر الباليار) " (Gorges marcais, 2003, p41).

✓ أما الدكتور رشيد بورويبة وهو الأكاديمي الأثري الضالع في الآثار الإسلامية والذي قام بعدة دراسات حول الطرز المعمارية والأشكال الفنية التي اشتهرت بها مدينة تلمسان في العهد الإسلامي فيقول: "نجد بتلمسان بنائين يرجع تأسيسها إلى العهد المرابطي أي القرن 11م، أولهما بناء جنائزي ثماني الأضلاع يعرف بضريح الأميرة بأقواسه المفصصة، والثاني وهو حمام الصباغين الذي يمتاز بالقبة المخددة التي تعلق فناءه" (بورويبة رشيد، 1984م: 351)، انظر الصورة رقم (4).



الصورة رقم 04: حمام الصباغين – القاعة الباردة والقبة المخددة – من تصوير الباحث سنة 2010م

✓ أما مؤرخ الفترة المرابطية على بن أبي زرع الفاسي يؤكد التوجه الإسلامي المحافظ لأمراء المرابطين في حثهم على بناء الحمامات لأنها تساعد على الطهارة التي هي عماد العبادة، كان أمراؤهم. "يأمرّون ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها وأي زقاق لم يجد فيه مسجد عاقب أهله فأجبرهم على بناء مسجد فيه، وبناء الحمامات والفنادق والإرحاء" (الفاسي ابن أبي الزرع، 1972م: 141). ويقصد مدينة مراكش التي أسسها المرابطون خلال القرن 11م، ونشير هنا أن تلمسان كانت تحت حكم الدواة المرابطية.

✓ كذلك يؤكد المؤرخ الحسن السائح فكرة بناء الحمامان بكثرة في فترة الحكم المرابطي فحتى مدينة مراكش التي أسسها المرابطين (454هـ/1072م) وهي حديثة نوعا ما وجد بها العشرات من الحمامات حيث. أشار ذلك ليون الإفريقي أنها من أعظم



مدن العالم في عصره، فكان بجانب الكتبية سوق لبيع الكتب وكانت بمراكش مصانع للسكرومعامل لتنظيف القطن وعشرات الحمامات (الوزان الفاسي، 1987م: 127).  
 ✓ أما الرحالة العبدري البلنسي الذي زار تلمسان وأقام بها عام (688هـ/1289م) استحسنت كثرة الحمامات بتلمسان، فذكر أنها نظيفة وجميلة ومن أحسنها وأوسعها حمام العالية وهو مشهور وقل أن يرى له نظير (العبدري البلنسي، 1964م: 10)، ونظن أن هذا الرحالة أقام كثيرا في هذا الحمام حتى أعجب بجماله وفرة مائه لكنه أزيل أثناء أشغال توسعة وسط المدينة خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

✓ أما أستاذنا محمد رباح فيسة وأثناء أبحاثه حول الآثار المرابطية بمدينة ندرومة لاحظ التشابه الكبير بين الحمام البالي المرابطي وحمام الصباغين في بعض الأشكال والطرز المعمارية، فحمام مدينة ندرومة مقارنة بحمام الصباغين الذي ينتسب إلى حمامات القرن 5هـ/11م يشبهه إلى حد كبير، وذلك من حيث تغطية الحمام بالأقبية النصف الأسطوانية، (فيسة محمد رباح، 2005-2006م: 119). أنظر الشكل رقم (02) والصورة رقم (5).

✓ أما الشيء الذي شد انتباهي أن هذا الحمام موجود قرب شارع معسكر (درب مسوفة سابقا) إن لم نقل ملاصق له، و "مسوفة" هي قبيلة مرابطية كبيرة كانت تقطن بهذا الحي، جاءت مع تعيين محمد بن تينعمر المسوفي واليا على تلمسان؛ فتطورت المدينة القديمة واتسعت رقعتها (انظر التعليق رقم: 05). أنظر الشكل رقم (4)

✓ أخيرا يؤكد المؤرخ مختار حساني على أن "حمام الصباغين يعتبر أحد آثار المرابطين في مدينة ثقرارت الباقية" (حساني مختار، 2007م: 15-21).



الصورة(5): الحمام البالي المرابطي-بندرومة من تصوير الباحث سنة 2009م

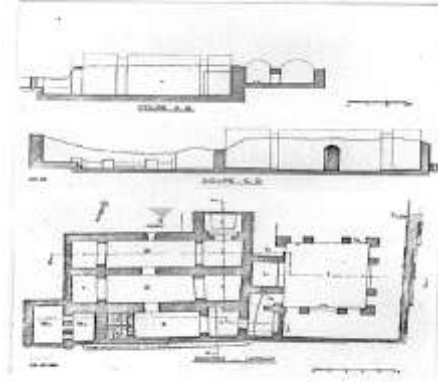
#### 4-وصف الحمام وحالته الراهنة:

1-4 الوصف الخارجي: يبدو الحمام من الخارج ذو شكل بسيط محاصر من الجهات الثلاثة بالأبنية الحديثة له واجهة وحيدة من الجهة الشمالية طوله 12,20م وارتفاعه قدره 05 أمتار، واضح عليه حالة الإهمال والتدهور.

تظهر في الواجهة الأمامية سلالمة مبنية تساعد على الوصول إلى السطح، وهو الحمام الوحيد على حسب تقديرنا الذي يوجد به سلالمة للصعود إلى السطح في مدينة تلمسان، " لكن هذا الشكل من الحمامات وجد في الأندلس وخصوصا في غرناطة مثل حمام عشار الصغير الذي يعتبر من الأبنية الهامة في القرن 11م. " (مانويل غوميث رينو، 1995م: 309).

أما واجهة حمام الصباغين يوجد بها بابان عليهما عقدان أحدهما كمدخل للحمام والثاني لصعود السطح، لأن أصحاب حرفة صباغة الصوف كانوا يستعملون سطح الحمام من أجل تجفيف الصوف المصبوغ وتبخيره بمادة الكبريت، لذلك نسب ربما هذا الحمام إلى هؤلاء الصباغين. انظر الشكل رقم (4)

بالنسبة للتسقيف نجد حمام الصباغين استعمل فيه قبة وسطية فوق القاعة الباردة تحيط بها أقبية نصف اسطوانية وهي قبة جميلة مثمثة، ونفس نظام الأقبية وجد فوق الغرفة الدافئة والساخنة، وهو يشبه كثيرا حمام زكورة المرابطي من حيث ترتيب القاعات. انظر الشكل رقم (3).



الشكل (03): حمام زكورة-المغرب الاقصى-(Henrie , trois bains merinide du maroc) (terasse)

أما الحمام البالي بندرومة وهو مرابطي، كانت كل الغرفة مغطاة بأقبية نصف اسطوانية ماعدا الغرفة الدافئة كان فوقها قبة (بن حمو محمد ، 2013م: 34) . انظر الشكل رقم(2)

4-1 الوصف الداخلي للحمام: قبل أن نتطرق بالتفصيل إلى الوصف الداخلي لحمام الصباغين وفي مقارنة بسيطة بينه وبين حمام البالي بمدينة ندرومة، يمكن أن نلاحظ أن هذا الأخير أقل حجما ومساحة من حمام الصباغين، رغم أن الحمام البالي واضحة فيه القاعات الثلاثة (الباردة والدافئة والساخنة)؛ إلا أن في حمام الصباغين رغم وضوح (القاعة الباردة والساخنة)، لكن القاعة الدافئة فقدت ملامحها جراء كثرة الإضافات. فعدد الغرف الملحقة بحمام الصباغين (الغرف "ك" "هـ" "ف" "د") تؤكد سعة الحمام الكبيرة على عكس الحمام البالي الذي يخلو من الغرف الملحقة، ما عدا المضافة منها مثل مكان جلوس صاحب الحمام أو مكان للصلاة، لكنها تبقى



صغيرة الحجم وغير مستقلة عن القاعات (فيسة محمد رابح، المرجع السابق: 120)  
أنظر الشكل (4)

بعد مرور أكثر من قرن (100 سنة) عن الوصف القديم الأول (انظر التعليق رقم 06) للحمام سأحاول أن أقارنه بحالته الراهنة عبر التطرق إلى بعض التغيرات التي طرأت على هذا المعلم الأثري وهي:

✓ فيما يخص كتلة المدخل فإنه لم يوصف بدقة كبيرة، نظن أنه حديث نوعا ما عرضه 1,06م وطوله حتى منبت العقد 2م يعلوه عقد نصف دائري ذو نصف قطر 53 مم يغلق بباب جميل من الخشب السميك عليه زخرفة وأشكال هندسية متقنة وتزينه طيطابة من الحديد على شكل يد آدمية.

✓ إن الأبواب الحديدية كلها مضافة لم يذكرها George Marçais منها الباب (1) والباب (2) وراء الباب الخشبي وباب (7) القاعة الساخنة وحتى باب الصعود إلى السلالم وباب المستودع (ي). انظر الشكل رقم (4). من الأشياء المضافة تلك السلالم الكثيرة، ابتداء بالسلم المبني في الخارج سم الذي يستعمل للصعود إلى السطح حيث لم يتم الإشارة إليه في الوصف القديم فرغم تأثير العوامل الطبيعية، لا نعتقد أنه أصلي ربما تم تجديد السلالم وتوسيعها في المكان نفسه؛ أو أنها لم تكن في ذلك المكان. أما عن السلالم في الغرفة (أ) والسلالم في القاعة الباردة (ب) بالقرب من الباب (9) إلى الجنوب وذلك للصعود إلى الغرف العلوية التي كانت تسمى "المصريات"، فهي كلها إضافات لأن مواد البناء الظاهرة كلها حديثة من الأجر المثقوب إلى الإسمنت وحتى أسلاك الحديد لتقوية البناء (عبد الرحيم غالب: 141).

✓ أما المراحيض التي لم يحددها الوصف السابق بدقة كبيرة، هل هي في الغرفة (أ) أو الغرفة (ف)، لكن وجدناها في الغرفة (د) وعددها ثلاثة حديثة أمامها حوض كبير للماء وفي الأعلى صهريج معدني لتخزين الماء في منظر شوه كثيرا روعة وجمالية المكان فكل هذه العناصر تعتبر مضافة. انظر الشكل رقم (4).



✓ وجدنا قناة كبيرة في الغرفة الساخنة تصب في حوض، وهي للماء الساخن القادم من مكان التسخين موجود في المقصورة (س) بعدما كانت في الوصف السابق في الركن (ع).

✓ الغرفة الباردة (Apodyturium) هناك عدة غرف مضافة لم تذكر سابقا وهي الغرفة (و) و(ؤ) التي كانت تلعب دور الغرفة الدافئة، لأننا وجدنا بها مصطبات لاستراحة المستحمين، أما الغرفة (و) فلم أستطع تحديد وظيفة لها، إلا أن جورج مارسي أكد على وجود القاعة الدافئة (G et William marcais, 1905, p163) الشكل رقم (4).

1-4 وصف الحمام اثناء عملية الترميم سنة 2010م: قد حالفنا الحظ كثيرا لأنه أثناء مباشرتنا في دراسة هذا المعلم التاريخي تمت البداية في عملية ترميم هذا الحمام من طرف مكتب دراسات مختلط من الجزائر العاصمة ومن تلمسان (انظر التعليق رقم: 07)، فاغتنمت الفرصة وسأيرت هذه العملية لأقارن بين كل التحليلات والأوصاف السابقة لهذا الحمام فخرجت بمجموعة من الاستنتاجات أهمها:

✓ بعد البداية في إزالة كل الغرف المضافة في القاعة الباردة بدأت تظهر بشكل جليّ الأقسام المختلفة للحمام، أي القاعة الباردة بكل أبعادها وكذلك القاعة الساخنة، فتأكد لنا بشكل كبير وجود القاعة الدافئة التي افترض وجودها "جورج مارسي".

✓ أيضا مع ظهور بائكة لعقدين في الغرفة (هـ) مقابل القبة مما يزيد في سعة هذه القاعة الباردة ويقلل من افتراض وجود المدخل الرئيسي بتلك المنطقة، وأن هذه الغرفة ربما كان يستعملها صاحب الحمام لأخذ أجرة الاستحمام والمراقبة.

✓ مع أن السؤال كان مطروحا بجديّة عن وجود المدخل الرئيسي للحمام وبعد إزالة التلبيس عن القاعة (ف) ظهرت لنا بائكة (زوج أقواس) أخرى لعقدين بتوسطهما عمود وتاج في اتجاه الشمال أي القاعة أو الغرفة (ك) مما يرجح بشكل كبير وجود المدخل الرئيسي المنكسر للحمام في هذا المكان. الشكل رقم (4).

✓ إن عملية الترميم ساعدتنا في التعرف على مواد البناء بشكل كبير، حيث وبعد بحث فرقة الترميم عن وجود مكان أصلي آخر لسلالم السطح لكن دون جدوى مما



يطرح عدة أسئلة عن وجود السلالم الحالية هل هي أصلية أم مضافة وحتى في استعمال السطح والوظيفة التي كان يقوم بها إن وجدت؟  
✓ والمشكل الآخر هو عن وجود المراحيض (LATRINE)؟ لأن الموجودة حاليا مضافة، لكن أين تقع الأصلية؟ وهو السؤال الذي طرحه (جورج مارسلي)؛ مع أنني أميل إلى رأي هذا الأخير أي في مكان ما داخل الغرفة (ف) ربما في تلك الحنيات الغائرتان في الحائط الغربي التي أجهل وظيفتهما أوبين القاعة (أ) والغرفة (ف) لوجود بائكة لعقدين مزدوجتين مصمتة في الجدار الفاصل بينهما.

#### -خاتمة:

إن دراسة العمائر المدنية التي تعود للفترة المرابطية لا زالت تراوح مكانها في تلمسان وخصوصا الحمامات القديمة، فمحاولتنا في هذا البحث دراسة حمام الصباغين الذي رغم شهرته، تبقى عدة تساؤلات تطرح حوله مثل (عمره، عمارته، نظام تشغيله...). فلنكي أجيب على هذه الأسئلة قمت بتتبع مختلف التطورات والتغيرات التي طرأت على هذا الحمام، فالفترة الزمنية التي بني فيها الحمام كانت قديمة حوالي 09 قرون، لذلك مازالت هناك عدة أسرار يخبئها في ثناياه حتى أصبح أسطورة في نظر البعض رغم انه لازال قائما وسط نسيج المدينة القديمة بتلمسان. أما النتائج التي توصلت لها هي:

- نفخ الغبار عن أحد أكبر وأجمل الحمامات المرابطية بتلمسان ودق ناقوس الخطر لأنه مهدد كل حين.

- تقديم أدلة صريحة لعدد كبير من المختصين بان حمام الصباغين يعود للفترة المرابطية.

- التمكن من تحديد المدخل الأصلي للحمام بعدما كان فرضيات لبعض المعمارين والأثرين سابقا.

- إثبات صحة فرضية الباحث جورج مارسلي GorgreMarcais حول وجود الغرفة الدافئة معا أنها قد طمست وأزيلت حاليا.



- تأكيد تشابه نظام وأقسام الغرف في الحمامات المرابطية (الحمام البالي بندرومة، وحمام زكورة بالمغرب الأقصى) مقارنة بحمام الصباغين بتلمسان.  
-التعليقات:

-التعليق 01: حمام الغولة وهو حمام مهمل نسجت حوله أساطير مخيفة مثل ظهور الجن والغولة يرجح انه قديم يعود للقرن 9م لأن أطلاله موجودة بمنطقة اكادير الادريسية شرق مدينة تلمسان.

-التعليق 02: حمام الحفرة موجود داخل المدينة القديمة بتلمسان، لا نعرف الكثير عن هذا الحمام لأنه مغلق منذ عقود لكن حسب الروايات الشعبية فهو يعاصر حمام الصباغين وهو ليس بعيد عنه.

-التعليق 03: هو أبو العباس احمد بن الحسن الغماري من أهل ندرومة سكن تلمسان وقضى حياته بها في القران والعبادة ويقال انه حج مرتين وكان من جملة تلامذته الشيخ احمد زروق الفاسي حيث توفي بتلمسان عام 874هـ/1469م، وقبره بجوار المسجد المرابطي الكبير، حيث لا زالت زنيقة تحمل اسمه. (ابن مريم احمد بن محمد الميمني، 1986 م: 31-32).

-التعليق 04: هما القرينان أي الشارعان الضيقان حسب التداول الشعبي التلمساني لأحياء المدينة. للتوسع (سيدي محمد النقادي، المرجع السابق:105).

-التعليق 05: مسوفة: هي قبيلة كبيرة تمثل النواة الأولى لدولة المرابطين، حيث لازال يحمل أحد الأترة بالمدينة القديمة بتلمسان اسم "درب مسوفة" بجانب حمام الصباغين. حول قبيلة مسوفة المرابطية (ابن أبي الزرع الفاسي، المرجع السابق:75).

-التعليق 06: وصف الأخوان مارسى (G et W) Marcais بعض أشهر المعالم الأثرية بتلمسان ومنها حمام الصباغين في كتاب بعنوان المعالم العربية بتلمسان les monuments arabes de Tlemcen والذي صدر سنة 1905م فظل وصفهما لهذه الآثار مرجعا للباحثين إلى الفترة الحديثة.

-التعليق 07: تم الشروع في ترميم وإعادة تهيئة حمام الصباغين في شهر مارس 2010م وذلك بمناسبة احتضان تلمسان احتفالية " تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة



2011م". فكان المكلف بمشروع الترميم من الطرف الجزائري مكتب دراسات من تلمسان (ARCAD).

### قائمة المراجع والمصادر:

- 1- القران الكريم
- 2- البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، (1999م)، صحيح البخاري، ط2، الرياض، السعودية دار السلام.
- 3- مسلم بن الحجاج، (2010م)، صحيح مسلم، ط3، تحقيق: خليل مأمون شيحا، لبنان، بيروت، دار المعرفة.
- 4- ابن أبي الزرع الفاسي، (1972م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط، المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة.
- 5- العبدري البلنسي، (1964م)، الرحلة المغربية، الجزائر، شركلية الآداب.
- 6- ابن سعد التلمساني، (2009م)، الروض النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.
- 7- سالم عبد العزيز، (1985م)، في تاريخ وحضارة الإسلام في الاندلس، الإسكندرية، مصر، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 8- عبد الرحيم غالب، (1988م)، ط1، بيروت، موسوعة العمارة الإسلامية.
- 9- شاوش محمد رمضان، (1995م)، باقة السوسان في ذكر تلمسان حاضرة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 10- عادل زيادة، (2009م)، من فنون العمارة الإسلامية (حمامات السوق ودورها الحضاري)، القاهرة، مصر، دراسة أثرية.
- 11- محمد عبد الستار عثمان، (1999م)، المدينة الإسلامية، ط1، القاهرة، مصر، دار الأفق العربية.
- 12- ديوان الاعمى التيطلي، (2014م)، جمع وتحقيق: محي الدين الديب، ط1، للكتاب، لبنان المؤسسة الحديثة.
- 13- عاصم محمد رزق، (2000م)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مصر، مكتبة مدبولي للنشر.



- 14- مصطفى بن حموش، (2006م)، جوهر التمدن الإسلامي (دراسة في فقه العمران)، لبنان، دار قابس.
  - 15- بوروية رشيد، (1984 م)، الحياة الفنية في عهد المرابطين ضمن كتاب تاريخ الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
  - 16- الحسن السائح، (1986م)، الحضارة الإسلامية بالمغرب، المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
  - 17- محمد رابح فيسة، (2011م)، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة – دراسة تاريخية أثرية -، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع.
  - 18- مختار حساني، (2007م)، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزائر، دار الحكمة.
  - 19- مانويل جوميث مورينو، (1995م)، الفن الإسلامي في إسبانيا، ط1، الإسكندرية، مصر، مؤسسة شباب الجامعة.
  - 20- عبد العزيز لعرج، (1999م)، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، الجزائر، معهد الآثار.
  - 21- سيدي محمد النقادي، (1991م)، التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاته الاجتماعية، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد الثقافة الشعبية.
  - 22- فضيلة بوعمران، (2007م)، "طرق علاج الأمراض في مخطوطات الطب العربي الأندلسي"، قراءة في كتاب "التيسير في مداواة والتدبير" لأبي مروان ابن زهر الأيادي الأشبيلي، المخطوطات العلمية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، الجزائر، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط.
  - 23- محمد بن حمو، (2013م)، "خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية والمرينية"، دورية كان الالكترونية التاريخية، العدد 20، صص (31-38).
  - 24- خليل خلف الجبوري، (2016م)، "معالم من الحضارة العربية الأندلسية – الحمامات أنموذجا –"، دورية كان الالكترونية التاريخية، العدد 32، صص (162-167).
- 25- (G et W)Marcais; (1905), les monuments arabes de Tlemcen, édition fontemaing, paris, France .



26- George Marçais, (2003), les villes d'art célèbres Tlemcen, édition dutell, Blida, Algérie.

27- Henrie Terasse , (1950), trois bains merinide du maroc, edition maisonneuve, paris, France.

### Al-Bibliography

1. al-Qur'ān al-Karīm
2. al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā'īl (1999), Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, 2nd ed., Riyāḍ, Saudi Arabia: Dār al-Salām.
3. Muslim ibn al-Ḥajjāj (2010), Ṣaḥīḥ Muslim, 3rd ed., taḥqīq: Khalīl Ma'mūn Shayḥā, Beirut, Lebanon: Dār al-Ma'rifa.
4. Ibn Abī Zar' al-Fāsī (1972), al-Anīs al-muṭṭrib bi-Rawḍ al-Qirṭās, Rabāt, Morocco: Dār al-Manṣūr li-l-ṭibā'a wa-l-warāqa.
5. al-'Abdarī al-Balanṣī (1964), al-Riḥla al-Maghribiyya, Algeria: Sharikat Kuliyat al-Ādāb.
6. Ibn Sa'd al-Tilimsānī (2009), al-Rawḍ al-Nasrīn fī al-Ta'rīf bi-l-Ashyākh al-Arba'a al-Muta'akhhirīn, taḥqīq: Yahyā Bū'azīz, Algeria: Dār al-Baṣā'ir li-l-Nashr wa-l-Tawzī'.
7. Sālim, 'Abd al-'Azīz (1985), Fī Tārīkh wa-Ḥaḍārat al-Islām fī al-Andalus, Alexandria, Egypt: Mu'assasat Shabāb al-Jāmi'a li-l-ṭibā'a wa-l-Nashr wa-l-Tawzī'.
8. Ghālib, 'Abd al-Raḥīm (1988), Mawsū'at al-'Imāra al-Islāmiyya, 1st ed., Beirut.
9. Shāwish, Muḥammad Ramaḍān (1995), Bāqat al-Sawsan fī Dhikr Tilimsān Ḥaḍīrat Banī Ziyān, Algeria: Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'iyya.
10. Ziyāda, 'Ādil (2009), Min Funūn al-'Imāra al-Islāmiyya (Ḥammāmāt al-Sūq wa-Dawruhā al-Ḥaḍārī), Cairo, Egypt: Dirāsa Athariyya.
11. 'Uthmān, Muḥammad 'Abd al-Sattār (1999), al-Madīna al-Islāmiyya, 1st ed., Cairo, Egypt: Dār al-Āfāq al-'Arabiyya.
12. Dīwān al-A'mā al-Tiṭlī (2014), Jam' wa-Taḥqīq: Muḥyī al-Dīn al-Dīb, 1st ed., Lebanon: al-Mu'assasa al-Ḥadītha.
13. Rizq, 'Āsim Muḥammad (2000), Mu'jam Muṣṭalahāt al-'Imāra wa-l-Funūn al-Islāmiyya, 1st ed., Egypt: Maktabat Madbulī li-l-Nashr.
14. Ibn Ḥammūsh, Muṣṭafā (2006), Jawhar al-Tamaddun al-Islāmī (Dirāsa fī Fiqh al-'Imrān), Lebanon: Dār Qābis.
15. Būrwība, Rashīd (1984), al-Ḥayāt al-Fanniyya fī 'Ahd al-Murābiṭīn, in: Tārīkh al-Jazā'ir, Algeria: al-Mu'assasa al-Waṭaniyya li-l-Kitāb.



16. al-Sā'ih, al-Ḥasan (1986), al-Ḥaḍāra al-Islāmiyya bi-l-Maghrib, Morocco: Dār al-Thaqāfa li-l-Nashr wa-l-Tawzī'.
17. Fīsa, Muḥammad Rābiḥ (2011), al-Munsha'āt al-Murābiṭiyya fī Madīnat Nadrūma – Dirāsa Tārīkhiyya Āthariyya, Algeria: Dār al-Sabīl li-l-Nashr wa-l-Tawzī'.
18. Ḥassānī, Mukhtār (2007), Mawsū'at Tārīkh wa-Thaqāfat al-Mudun al-Jazā'iriyya, Algeria: Dār al-Ḥikma.
19. Manuel Gómez-Moreno (1995), al-Fann al-Islāmī fī Isbāniyā, 1st ed., Alexandria, Egypt: Mu'assasat Shabāb al-Jāmi'a.
20. al-'Arāj, 'Abd al-'Azīz (1999), al-Mabānī al-Marīniyya fī Imārat Tilimsān al-Ziyāniyya, PhD thesis in Islamic Archaeology, Algeria: Ma'had al-Āthār.
21. al-Naqqādī, Sīdī Muḥammad (1991), al-Taṣmīm al-'Umrānī li-Madīnat Tilimsān wa-Dalālatuh al-Ijtimā'iyya, Master's thesis, Algeria: Ma'had al-Thaqāfa al-Sha'biyya.
22. Bū 'Umrān, Faḍīla (2007), "Ṭuruq 'Ilāj al-Amrād fī Makhtūtāt al-Ṭibb al-'Arabī al-Andalusī: Qirā'a fī Kitāb *al-Taysīr fī al-Mudāwā wa-l-Tadbīr* li-Abī Marwān Ibn Zuhr al-Ayyādī al-Ishbīlī", in: *al-Makhtūtāt al-'Ilmiyya – A'māl al-Multaqā al-Maghāribī al-Thālith li-l-Makhtūtāt*, Algeria: Nasharāt Makhlab al-Binā' al-Ḥaḍārī li-l-Maghrib al-Awsaṭ.
23. Ibn Ḥammū, Muḥammad (2013), "Khaṣā'is al-Ḥammāmāt al-'Uthmāniyya fī al-Jazā'ir min Khilāl Namādhij Muqārana bi-l-Ḥammāmāt al-Murābiṭiyya wa-l-Marīniyya", *Dawriyya Kān al-Ilktirūniyya al-Tārīkhiyya*, no. 20, pp. 31–38.
24. al-Jubūrī, Khalīl Khalaf (2016), "Ma'ālim min al-Ḥaḍāra al-'Arabiyya al-Andalusiyya – al-Ḥammāmāt Unmūdhajan", *Dawriyya Kān al-Ilktirūniyya al-Tārīkhiyya*, no. 32, pp. 162–167.